**دور الأسرة في الإسلام**

**عبدالله بن محمد الجهني**

**إن الحمد لله , نحمده .......**

لقد امتن الله على عباده في ( سورة النحل ) التي تسمى ( سورة النعم ) لكثرة ما ذكر الله لعباده من النعم ، وذكر منها نعمة البيوت ، فقال عز وجل ( وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ (80) وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ) .

يقول السعدي رحمه الله ( وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ) في الدور والقصور ونحوها , تكنُّكم من الحر والبرد , وتستركم أنتم وأولادكم , وأمتعتكم ، وتتخذون فيها الغرف , والبيوت التي هي لأنواع منافعكم ومصالحكم , وفيها حفظ لأموالكم وحرمكم , وغير ذلك من الفوائد المشاهدة ....

( بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا ) أي : خفيفة الحمل , يوم ظعنكم , ويوم إقامتكم ....

وقد نوع الله عز وجل أنواع مواد البيوت من : الجبال , والجلود , ونحوها ليبين أن الغرض ليس هو نوع البناء , وإنما هو بالسلوك داخل هذا البناء .

فكم جُمعت السعادة وشاعت في خيمة صغيرة , أو كوخ رث ، وكم فقدت السعادة , وتقطعت أوصالها في قصر منيف , وبيت فارهٍ .

إن من نعم البيت أنه يكن الإنسان من شدة الحر , وأليم البرد ، وأنه يحفظ العورات , و يواري السؤات ، يجد الإنسان فيه راحته وحريته ، ويعيش بعفويته ، دون تكلف في ملبسه , أو حديثه , أو تصرفه ، يحصل له بدخوله : السكن , والراحة ، وتظهر فيه خصوصياته .

البيت هو جنة الإنسان في الدنيا ، وهكذا ينبغي أن يكون .

وحين يفقد الإنسان هذه النعمة ، إما لقلة ذات يده ، او لظروف قاسية من : حروب , وكوارث , ونحو ذلك , فإن هذا الفقد ينسيه كل نعمة هو فيها ، ويشعر حينئذ بالمسكنة ، والاضطراب , والحيرة , والاكتئاب , وصدق الله القائل ( قليلاً ما تشكرون ) .

نعم ... كثير من الخلق لا يشعر بهذه النعمة العظيمة , التي يتقلب فيها ليل نهار ( ولكن أكثر الناس لا يشكرون ) .

**عباد الله :** هذه هي نعمة البيت العامة ، أما نعمة البيت المسلم فأعظم وأعظم ، إذ فيه يحقق رسالته في الحياة ، وهي إقامة العبودية لله رب العالمين ، وفيه يحقق الأمانة الثقيلة الملقاة على عاتقه ، وهي تنشئة جيل مسلم على طاعة الله عز وجل ( وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ) .

في البيت المسلم تجد المرأة حقوقها كاملة وافية ، وفي البيت المسلم يجد الأطفال فسحتهم , وفيه يجد المراهقون من يراعي أحوالهم ، ويتفهم أطوارهم ، ويشاركهم همهم , ويأخذ بأيديهم .

إن البيت المسلم إذا حقق رسالته المناطة به استطاع بإذن الله أن يقاوم انحراف محاضن التربية الأخرى ، سواء كانت شوارع , أو مدارس وللأسف , أو غير ذلك .

يقاوم كل ذلك بثبات واقناع ، إن وفق لسياسة حكيمة , تدير شؤون هذا البيت .

إن مصيبة المجتمع بأكمله تكمن في خراب البيت .

وكم يعاني المجتمع من خلل تلك البيوت .

**عباد الله :** إن البيت الغربي بالذات يقوم على المصالح الفردية في الأعم الأغلب .

فالزوج ارتباطه بزوجته ارتباط جنسي شهواني ، ولذا تجده يبحث عن الجمال والجمال فحسب ، وإلا لصاحبة المال الوفير .

وأما الأولاد فرغبتهم فيهم قليلة , والواقع يشهد بذلك .

ولما لم يؤد البيت عندهم رسالته حصل الفساد الأخلاقي , والنفسي , والاجتماعي المفجع ، لأن البيت قام على المصالح ، ولذلك كثرة دور العجزة والمسنين , لأن الابن لا يستطيع أن يتحمل أعباء والديه , ومشقة رعايتهما عند الكبر ، كما كثرة حالات الطلاق ، لأن الرجل والمرأة إن انتهت المصلحة الرابطة بينهما , بحث كل منهما على مصلحته في طريق آخر .

وكثرة الفواحش والفجور ، لأن المراهق يطرد من بيته عند سن معين , لأن المصلحة المادية تقتضي ذلك عندهم .

إن تلك المجتمعات التي تدعي التمدن والتحضر , أفقدت الإنسان أعظم قيمة له , لقد عرت الإنسان من مشاعره وأخلاقه , إلا من رحم الله منهم .

**عباد الله :** إن رسالة البيت المسلم أعظم من أن يكون في توفير الطعام , والشراب , والمسكن , و الملبس .

إن رسالة البيت المسلم كما سبق هي : إقامة العبودية لله عز وجل في هذا المجتمع الصغير .

إن رسالة البيت المسلم هي المحافظة على الصحة النفسية لأفراد الأسرة , وغرس الأخلاق الفاضلة من : المحبة , والتقدير , والتعاون , والتضحية , والصبر .

إن الزوج متى ما كان ذا علاقة حسنة مع زوجته ظهر أثر ذلك على جو الاسرة .

**ومن المؤسف عباد الله** أن تقصر كثير من بيوتات المسلمين في رسالتها العظيمة : فتقطعت أواصر الرحمة , ووشائج المحبة .

ولا يشك عاقل أن تصرفات الشباب , والفتيات اليوم إنما هي إفراز ما تلقوه في البيت .

إن الجري وراء حطام الدنيا اليوم , والانهماك في الأعمال , وتقديس المادة , و الانشغال في تحصيله عن شؤون المنزل سبب رئيس في ذوبان دور الاسرة .

لقد تحولت بيوت كثير من المسلمين اليوم إلى فنادق , أو دور للتسمين .

ولا تعجب إن قيل لك إن بعض الأبناء لا يجلسون مع والديهم في الأسبوع إلا مرة , أو مرتين , مع أنه يعيش بين أظهرهم .

وإن بعض الاخوة لا يرون إخوانهم إلا عند الذهاب إلى المدرسة .

إن سفرة الطعام التي تجمع شمل الأسرة , وتغرس فيهم حب الاجتماع , وروح التعاون , و جميل المؤانسة , أصبحت سفراً عدة ، لكل شخص سفرة تناسب وقته , وذوقه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ( إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين \* ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ) .

**الحمد لله على إحسانه ...**

إن أعظم ما فقدته الأسرة اليوم وللأسف : قوامة رب الأسرة ، وإن أزمة المجتمع اليوم أزمة القوامة .

إن الأب لم يعد له كلمة حازمة تفصل في الأمور .

فالزوجة والبنات يلبسن حسب الموضة , بحجة أن المجتمع كله كذلك ، والابن يلبس كذلك ما شاء ، و يصاحب من شاء , ويدخل , ويخرج متى يشاء .

والأجهزة المفسدة تدخل المنزل وإن كان الأب صالحاً لا يرضى بذلك , وهكذا .

فالأب كالمغلوب على أمره , لا يملك إلا الدعاء , والحوقلة .

**أمة الإسلام :** إن نظرة سريعة في أعظم بيت عرفته البشرية ليجلي لك عظيم رسالة البيت المسلم .

يصلي النبي صلى الله عليه وسلم العصر , ثم يمر على سائر نسائه في بيوتهن , ويجلس ساعة يحاور هذه , ويسمع من هذه ، وفي الليل يقسم لنسائه لكل منهن ليلة هي حق لها في المبيت .

قليل التكلف في بيته , قليل الطلبات ، لا يطلب مفقوداً , ولا يرد موجوداً .

ربما طلب الطعام فقيل له : لا يوجد . فيقول : إني اذاً صائم .

ولكم سمعتم أن بيوتاً قوضت بنيانها , لأن الطعام لم يوضع في موعده .

إذا أقبلت عليه ابنته فاطمة قام لها , وقبلها , واجلسها الى جانبه .

يدخل عليها , وعلى زوجها علي فينام بينهما على الفراش , ويحدثهما صلى الله عليه وسلم .

إذا أقبل الحسن والحسين قبلهما , وشمهما , وداعبهما , ومرة ترك الخطبة لأجلهما .

يحمل حفيدته : ابنة ابنته زينب , وهو يصلي بالناس العصر شفقه , ورحمة .

وصدق الله ( وإنك لعلى خلق عظيم ) ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) .

إن هذه النفسية المتواضعة , المطمئنة , البسيطة , هي التي تغرس القيم , وتجمع شمل الأسرة .

**ألا وصلوا , وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه ....**